باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحصاه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ النهضة في ما يندرج فيه على التحايي فحض براء منه كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف الغلاط غيرهِ عفيفاً كان المعترف بالغلاط اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

تهنئة للمقتطف بعامهِ الجديد

يا مُفرداً علماً ضمّت اليهِ اذا ... نادیتَ خيرُ صفاتِ الفضلِ والكرمِ
وكوكباً في سماء الشرقِ قد سطعتْ ... شمسُ الهُدى منهُ وانشقّت دُجى الظُلَمِ
لا زلتَ في همّةٍ ترقى البلادُ بها ... ورفعةٍ عن مَداها قصّرت كلمي
عادتْ اليكم مَدَى الاعيادِ بهجتُها ... وعيدُنا أنكم في اجزلِ النعمِ

دمشق الشام — متري قندلفت

ورق المقتطف
وغرائب الاتفاق

كتب الينا احد ادباء طنطا يُنيّد توزيع الجزء الماضي من المقتطف يقول "اعملوا معروفاً واطبعوا مجلة المقتطف على ورق يليق بمقامها ويوازي ثمنها الذي تتقاضونهُ فانهُ كثير جداً بجانب ثمن المجلات الافرنكية كمجلة سترند مجازين الانكليزية ومجلة لاروس التصويرية الفرنسوية. ونحن نأسف اذا رأينا مجلتكم تطبع على ورق مثل الورق الذي طبعت عليهِ هذا الشهر لاننا لا نقرأها ونرميها بل نحفظها لنطالع فيها مراراً كثيرة وسيأتي آخر كل سنة فنجلدها لتبقى على كرور الايام وتخلد لكم اثراً مجيداً وصيتاً وشهرةً. فاذا طبعت على ورق مخيف لا يمرُّ عليها بضعة اعوام حتى تتلف وتندرس كتاباتكم التي عانيتم في كتابتها المشاق وهناك الاسف الشديد والخسارة التي لا تعوّض. فنرجو ان تتلافوا الامر وتبذلوا كل مرتخص وغالٍ في اتقان طبع المقتطف كما تبذلون في كتابتهِ"

هذا ما كتب به الينا ذلك الاديب وجدنا لو امتحنا بذكر اسمه لان اخفاءهُ لا يصح في محل نصح يُشكر عليه. اما ورق المقتطف فلم يكن في الشهر الماضي على ما نريد لان ورقهُ الانكليزي تذكتهُ في آخر نوفمبر حتى اضطررنا ان نطبع فهرس السنة الماضية على ورق غيرهُ وانتظرنا الورق الجديد الى ان مضى اكثر من نصف دسمبر فتاخر عن الوصول ولم نجد ورقاً جيداً في القاهرة بقطع المقتطف فاضطررنا ان نطبعهُ على الورق الذي طبعناهُ عليه

ومن غريب الاتفاق ان الورق الانكليزي المطلوب وصل الى مطبعة المقتطف في اوائل هذا الشهر (يناير) وساعة وصوله الى مطبعة المقتطف وصلنا الكتاب المشار اليه آنفاً فلما فضضناهُ وطالعناهُ لم نتمالك من الضحك على هذا الاتفاق ثم قصصنا القصة على الحضور فاستغربوا الاتفاق كما استغربناهُ

ونحن نوافق حضرة الكاتب على ان ورق المقتطف يجب ان يكون من اجود انواع الورق ونريد بالجودة ان يكون اكثرهُ من الالياف القطنية لكي لا يتلف على مرور الايام وهو كذلك الاَّ في ما ندر ومجلداتهُ عندنا من الاول الى الثاني والعشرين وورقها على لونهِ الاصلي الاَّ اول جزء صدر منهُ في هذا القطر فاننا لم نجد لهُ حين طبعهِ غير الورق الذي طبعناهُ عليه

اما الشكوى من غلاء المقتطف في غير مصر وذلك اولاً لان المجلات العلمية التي من نوعهِ غالية مثلهُ او اغلى منهُ. ونحن نكتب هذه السطور الآن وامامنا جزء يناير من جرنال العلم الاميركي American Journal of Science وهو شهري مثل المقتطف واصغر منهُ قطعاً وفيهِ ثمانون صفحة مثلهُ وورقهُ ليس اجود من ورق المقتطف وقيمة الاشتراك فيهِ في اميركا ستة ريالات وخارج اميركا ستة ريالات واربعون من مئة من الريال اي ١٢٨ غرشاً صاغاً. اما جريدة ستراند والجرائد التي من نوعها فليست من الجرائد العلمية وهي تكتب للعامة لا للخاصة ولذلك يعدُّ قرَّاؤها بمئات الالوف فاذا ربحت من كل مشترك غرشاً واحداً كان لاصحابها ربح وافر منها

ثم ان الجرائد التي يعدُّ قرَّاؤها بالالوف الكثيرة يقبل التجار واصحاب الاعمال على نشر الاعلانات فيها وقد تكون اجرة نشر الاعلانات في الصفحة الواحدة من جريدة ستراند او ما شاكلها مئة جنيه او اكثر فجرائد مثل هذه يستحيل علينا ان نجاريها في رخص الثمن لذهاب اهم شرط من شروط كثرة الانتشار وهو وفرة عدد القرَّاء فان المدينة الصغيرة من مدن الانكليز التي لا يزيد سكانها على خمسين الف نفس فيها من قراء الجرائد اكثر مما في مصر والشام والعراق وكل البلدان التي يتكلم اهلها بالعربية

وزد على ذلك ان ما ينفق على ترتيب الحروف في الانكليزية او الفرنسوية صار الآن نصف عشر ما ينفق على ترتيبها في العربية فان مرتب الحروف الماهر لا يجمع عندنا في اليوم اكثر من الف كلمة مع الاصلاح اللازم لها واما الاوربيون فعندهم الآن آلات تجمع الآلة منها اربعين كلمة في الدقيقة اي نحو ٢٠ الف كلمة في اليوم ولا يقع فيها شيء من الغلط المطبعي فلا حاجة الى قراءة مسوداتها. ومطابعنا تطبع التي نسخة في الساعة على الاكثر واما مطابعهم فتطبع اربعين الف نسخة في الساعة فتهبط اجرة الطبع عندهم الى نصف عشر ما هي عليه عندنا. ولا يمكننا ان نستعمل آلات جمع الحروف في العربية لكثرة اشكال حروفنا ولا داعي لجلب المطابع السريعة لانها غالية جداً وعدد النسخ التي يمكن ان تطبع في العربية قليل محدود كما تقدّم

وخلاصة ما تقدّم ان الجرائد العلمية التي نسبتها الى الاوربيين نسبة المقتطف الى الشرقيين اغلى من المقتطف حتى في الانكليزية نفسها لانها تكتب للخاصّة لا للعامّة وان الجرائد الرخيصة هي التي تكتب للعامة بنوع خاص وهي رخيصة الثمن لكثرة انتشارها ورخص طبعها ووفرة ربحها مما ينشر فيها من الاعلانات

الانشاء والعصر

كانت اللغة العربية في ابان حداثتها ونضرة شبيبتها سليمة التراكيب ثابتة الاصول متينة القواعد ينطق بها ذووها كذلك بحكم السليقة لا يعملون فيها فكراً ولا يجهدون لها روية ولا يسيرون فيها على قانون سوى قانون التوارث ولا يخضعون لحكم سوى حكم اللغة العربية التي قضت عليهم ان يغاروا عليها غيرتهم على اعراضهم ويحموها من عبث الدخيل بها كما يحمون من فزع اليهم واستجار بجارهم

يقف القائد العربي خطيباً في جيش فتزت عزيمته وخارت قواه فيأتي من اساليبها المؤثرة وافانينها الحماسية ما يكثر به عددهم وعديدهم وتحيا له قلوبهم وتقوى به جوانحهم فكأنما استبدل لهم من تلك القلوب والاجسام قلوباً واجساماً سواها وليس هناك الا سحر البيان الذي يكاد يغير نواميس الطبيعة ويقلب نظام الكون

تمكن الاحتاد في القلوب وتقد نيران الضغينة في صدور قبيلتين من القبائل حتى يتفاقم شرها ويستعصي امرها فيقف بينهما الحكيم العربي متكئاً على قومه فيرسل من لسانه سهماً

انفذ من سمعها فينطلق لا يلوي على شيء حتى يصيب من تلك الاحقاد مقتلاً لا يبقى لها بعدهُ أثر

ويُساق الثائر مثقلاً مصفداً بالاغلال الى حضرة ملك وقد بسط لهُ النطع وجرد السيف وليس بينهُ وبين القضاء عليهِ الاَّ تحرك شفتين بجملة واحدة . فاذا بكلمة استعطاف واعتذار تلين لها صمُّ الجلاميد حناناً وتنفطر القلوب القاسية تأثرًا تخرج من فم ذلك الثائر كالماء الثلج فتجري في سمع ذلك الملك فتبلغ تلك الجمرة المتقدة في صدرهِ فتطفئها وقد حال الحقد ودَّا والموجدة اعطافاً والاغلال خلعًا فيخرج رافلاً فيها باسم نديم السلطان ولا عزيمة هازئًا بياس وهاروتها قائلاً ان من البيان لسحرًا

وبعدُ فلم يألُ العرب جهدًا في الابتعاد بتراكيب لغتهم عن مظان افسادها حتى جاء الاسلام وتوسع في الفتوحات فكثر اختلاط العرب بالعجم خضوعًا لقانون العمران البشري القاضي بتوقف الحضارة والمدنية على تبادل المنفعة بين الامم وتنازع البقاء فسرت الى جسم اللغة العربية عدوى الرطانة الاعجمية وكادت تخدر في مزالق الانقراض لو لا ان تداركتها عناية اولئك الفحول المتقدمين الذين قاسوا الاهوال وسهروا طوال الليال ولاقوا الجهد وبذلوا الجهد حتى وضعوا لها قواعد واتخذوا لها من نفس تراكيبها التي تتبعوها اصولاً كلية توسَّع في فروعها مَن جاء بعدهم ثم تركها حتى لم تبقَ كلة الاَّ ودخلت تحت قاعدة من القواعد فقرب ما خذها وسهل تناول جناها

تالله ما اجهدوا النفوس . واذابوا الاحداق مدادًا فوق الطروس . واستعانوا بالعناء . في الاعراب والبناء . وشاطروا النجم سهر الليالي الطوال . في القلب والابدال . وهجروا السمير والانيس . في المسموع والمقيس . وصبروا على اللأواء . في الخبر والانشاء . واقتحموا قتاد المجاز . الى الحقيقة والمجاز . الاَّ رحمةً بنا وحنانًا علينا واشفاقًا ان نفرج المسافة بيننا وبينهم ولثقل وطأة الدخيل علينا فنشأ نحن بني العرب بربرًا لا لغة لنا الاَّ رطانة تبتُّ حبل الاتصال بيننا وبين سابقينا فنصبح فاقدي الجنسية دعي النسب لا عربًا ولا عجمًا

فكنا بئس الخلف لنعم السلف وحققنا ما تخوفوهُ منا واصبح البربر بما لهم من مطلق الانتماء ازكى منا نسبًا واعرق اصولاً وصرنا والاعجمي أمام لغتنا العربية شرعًا بل ربما يتعلمها هو فينطق بها ونحن نتعلمها ولا نصيب لنا منها الاَّ مطالعة كتبها وانشاد ما يشيها . أستغفر الله بل لا نصيب لنا منها اصلاً

ان مبلغ علم متعلمنا من العلوم العربية ان يحفظ منها من وجوه الاعراب والبناء والاشتقاق

والجمود وانواع المجاز وسرار المعاني وتفاعيل العروض ما يعجز سيبويه ويذهل الزمخشري ويبهر السكاكي ويدهش الخليل ثم اذا اراد تطبيق العلم على العمل الذي ما وضع العلم الا لاجله ألا وهو الانشاء عجزهُ سطر واحد في معنىً ودّي يكاتب به صديقهُ كطبيب يحسن تشخيص الداء ويعرف ما يقاومهُ من الدواء ولكنهُ لم يتلقَّ درس الطب العملي فلا يمكنهُ ان يداوي قرحة بسيطة فكأنهُ ما علم من الطب شيئاً

ليس في الاقطار العربية مدرسة يتوفر فيها درس اللغة العربية بكل فنونها كمدرسة الجامع الازهر في القاهرة . على أن اوسع طلابها اطلاعاً اذا اراد انشاء جمل يعبّر بها عن مقصد من مقاصده في غرض من اغراضه كان مبلغ جهله هذه من العلم بعد الجد والجهد والتسويد والتبييض ان تكون سالمة من الخطاء النحوي فقط ولا تسل عما يتخللها من خلل التركيب وفساد النسق الذي يحول بينها وبين فهم معناها بل يعجب قارئها اذا قيل لهُ ان منشئها يعبر بها عن كذا من المعاني لما يجد من عظيم الفرق بين المعنى واللفظ

واني يسوءني كثيراً ان اقول ان كثيرين من اساتذة الجامع الازهر يرون أن تطبيق العلم على العمل ومزاولة النثر والنظم ودرس مفردات اللغة من العبث الشاغل للطالب عند التعلم ويعتبرون ميلهُ الى ذلك مثل ميلهِ الى مطالعة قصص الزير وعنترة العبسي . واذكر اني شرعت مرة في حفظ بعض المنشآت العربية فلقيت دونها من الاهوال ما الجأني الى اغلاق باب غرفتي دوني وقت مزاولتي حفظها هرباً من اطلاع اساتذتي على جرمي هذا الذي اقترفتهُ

حقاً ان الانسان ليأسف كثيراً على المعلومات الجمة والذكاء المتوقد ان يعيش صاحبهما قليل الافادة ويموت ميت الذكر بالي الاثر على أنهُ ليس بينهُ وبين إحراز هذا الشرف العظيم في الحياة والذكر العطر بعدها الا معرفة صناعة قليلة الغناء بالنسبة الى ما يعانيهِ في غيرها صناعة الترجمة بين الصدور وطالبي ضمائرها صناعة الانشاء

ان للانشاء ملكة لا تكتسب بالتوسع في العلوم العربية والاطلاع على اسرارها وقضاء العمر في ممارستها بل هي صورة ذهنية تنتزع من تراكيب العرب بالارتياض فيها ثم بمزاولة العمل على مثالها حتى ترتسم في الذهن صورة كالصورة المرسومة في اذهان العرب . وليست الفنون العربية منها في شيء سوى انها آلة لحصولها وميزان تزن بهِ ما يصدر عنها فتميز صحيحهُ من فاسدهِ . ويدلُّ على ذلك انك ترى بعض المنشآت ليس فيها اقل خطإ علمي ولكنك لا ترى لها تلك الصبغة العربية وتأثيرها الخاص ولو بحثت لوجدت ان منشئها قليل الممارسة لتراكيب العرب واحراز شيء منها في ذهنهِ

وبعدهُ فليس لقاصد الحصول على صناعة الانشاء العربي سبيل لبلوغها الاَّ بدرس فنونها اولاً ثم بحفظ المختار من عالي منشآت المتقدمين ثمَّ كرسائل عبد الحميد الكاتب وابي اسحق الصابي وابي بكر الخوارزمي والبديع الهمذاني. وارى لهُ ان يكثر من مطالعة انشآت المرسلة بوجه خاص كرسائل عبد الحميد ونهج البلاغة ومقدمة ابن خلدون وبعض رسائل البديع على ما في بعضها من القصور عن درك الغاية في البلاغة فان السجع قليل الغنى كثير التكلف لا يناسب الاَّ اوقاتاً قليلة ومواضع مخصوصة بخلاف الترسل

ولقد اطلعت حديثاً على مختار ثري جمعهُ احد افاضل المصريين وهو الكاتب البليغ الشيخ احمد مفتاح وسماهُ مفتاح الافكار في النثر المختار فرأيت ان فيهِ غنىً تامًّا لمريد تعلم الانشاء وحفظ مختاره وكذلك يختار من النظم احسنهُ من قديم وحديث . ولو اختار من القديم حماسة ابي تمام ومن الحدث دواوين الشعراء الثلاثة ابي تمام والبحتري والمتنبي التي جمعت بين جزالة المتقدمين ورقة المحدثين لبلغ الغاية في حسن الاختيار

ثم لا يغفل بعد ذلك ان لكل زمن اصطلاحاً ولكل قوم امياً وان المقصود من الانشاء تأثيرهُ في افكار سامعهِ وليس يبالغ ذلك منهم الاَّ اذا كان مناسباً لحالهم موافقاً لاميالهم فلا يكثر من ذكر الالفاظ الغريبة التي كانت تستعملها الاوائل كثيرًا فقرَّاء كتاباتنا غير قراء كتاباتهم غير انهُ لا مانع من ان يأتي ببعض الالفاظ الغريبة ثم يردفها بما يفسرها من نفس نسق الكتابة لتصير مألوفة بعد غرابتها

ولا يكثر ايضاً من ذكر ما دعى العرب الى ذكرهِ انهُ كان وسيلة معاشهم ورفيق غدواتهم وروحاتهم فبدلاً من ان يصف الخفاف واليعملات يصف السفن والمركبات ومن ان يصف ممدوحهُ بانهُ مثلاف لا يبالي بالفقر وينسبهُ الى الجنون وكأنهُ يطلب اقامة وصي عليهِ يصفهُ بالحكمة والتدبير وحب البذل ما وجد اليهِ سبيلاً . وبدلاً من ان يذكر اسماء اماكن لم يرها وربما لا يوجد لها أثر الآن يذكر اسماء بلادهِ التي نشأ في تربتها فلا يقول ضاع فؤادي بنجد وتهامة والعقيق ورامة وقد ضاع ببلدهِ حلوان او بشبرا مثلاً . ولا يستهجن ان رأى بين الجزيرة والكبري مثلاً عيون المها التي رآها ابن الجهم بين الرصافة والجسر ان يراعي المناسبات ويقول " عيون المها بين الجزيرة والكبري " . وحفظ الطالب المنشآت وممارستهُ لها غير محتاجة الى ان يحافظ على صورتها فذلك ليس من البلاغة في شيء بل عليهِ ان يحافظ على صبغتها فقط ثمَّ يتصرَّف فيها بما يناسب عصرهُ واهلهُ . ولا نريد بذلك انهُ يملأها من فاضح الالفاظ وبارديها وفاسد المعاني ومرذولها لتناسب اهل عصرهِ بل يجهد نفسهُ ليرقق الفاظها

وينقح من عباراتها حتى لا يكون بينها وبين الاقبال عليها والتأثر منها حجاب . فانها حينئذٍ تكون في شكل نور نشر من قبر العربي الجاهلي صاحب الشيح والقيصوم ورب نجد ورامة وسقط اللوى ومنحنى المعرج والدمعلات والمهرية القدد في هذا العصر الحاضر لما نطق الاَّ بشعر

وكما انهُ لا تجدي الوسائل بغير المقاصد كذلك تتوقف المقاصد على الوسائل توقف المعلول على العلة اي لا ينفع الطالب كثرة الغيوط وهو خالٍ من قواعد يستعين بها على فهمه وكشف الاستار عن اسراره ثم العمل على مثاله والنسج على منواله

وهنا نستميح القارئ ان يتنازل لنا قليلاً عن طبيعته العزيزية طبيعة الملل من الفائدة ويجاريتا على ابداء شيء يختص بهذا القسم الاخير من قسمي الخطتين في كيفية الحصول على صناعة الانشاء فهو المقصود من رسالتنا هذه لانهُ القسم الاوفر في عصرنا هذا فهو بالعناية اجدر

ماذا اقول في قوم وسموا العربية بسمة عار بيّن الاثر يتراءى الجيد دون محوه بما شوّهوا من خلقتها واخلّوا من نظامها . انتحلوا لانفسهم اسم الشاعر المفلق والكاتب المصقع في عنوان ما يسمونهُ قصيدة او رسالة قد ملكت من قافية الالفاظ وتخريبها وفاسد المعاني وضحكها بل ببكيها ما يذوب لهُ قلب الجلمد اسفاً ويلطم لهُ الادب حر الخدود تفجعاً ورزءا

يكتفي احدهم بمعرفة القراءة والاملاء وفهم معاني القصص والروايات وما شاكلها كاغلب جرائد هذه الايام وحفظ بعض الناطق منها فيبتاع لهُ مكتبة يجلس امامها ويمسك بيده الظالمة ذلك اليراع المظلوم فيسود وجه الادب حين يسوّد وجه القرطاس بصورة ما ارتسم في ذهنه من تلك المعلومات المعتلات بل الخيبات القاتلات للعقول هذرا التي لا يودى قتيلها ولا يفدى اسيرها والتي هي اشد بأساً واعظم خطراً من حيات الاجسام

ويا ليتهُ يستأثر بمصيبته فتهون البلوى ويقل الخطب ولكن ابى الله الاَّ ان تعم المصائب وتشمل النوائب فانهُ حرمهُ الله لما أودع فيهِ من حب الافادة وبغض الاثرة يأبى الاَّ ان يذهب بوبائه هذا الى المطبعة التي كدنا لذلك السبب نحكم بغلبة ضررها على نفعها فتنشرهُ لهُ بشكل جريدة او مؤلف فلا يزال ينتك بالعقول ويطعن في نحر الاذهان بزجاج التشويه والتشويش حتى يقوم غيرهُ مقامهُ فيفعل فعلهُ وهكذا حتى اصبحت اللغة بعد ما كانت تعزي نفسها عن خلوّ الالسن منها بوجودها بين شفاه الاقلام لا تجد لها الآن عزاء ولا اصطباراً

ان نظرة بسيطة من المشتغل البليغ في ما يخرّف بهِ هؤلاء لتكفي في تحديش ذهنه وكلّ ملكته السليمة وتشويه الصورة الجميلة المرسومة فيها فكيف يكون حال هؤلاء العامة الذين لا يفتحون عيونهم صباح مساء الاَّ على امثال هذه الخرافات حتى ارتسمت في اذهانهم

صورة مشوهة ووقر في نفوسهم انها هي الانشاء الفصيح العربي فلا ينطقون الاَّ بمثلها ولا يتيسر لغيرها ورنَّ فلو رأوا قصيدة فصيحة او رسالة بليغة نفرت منها طباعهم وبعدت عنها مداركهم لما يجدون من مباينة تراكيبها لما ربيت عليه افكارهم حتى فقدت هم البلغاء والكتاب الذين يريدون نشر افكارهم السليمة ونفع بني جنسهم بها ووقفوا موقف الحيرة بين ان يجاروهم على ما يوافقهم من التعبير فيخرجوا عن سنن الفصاحة متشبهين بالمعري في قوله

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلتُ حتى قيل اني جاهل

ولكن تأبى ذلك ذمتهم وغيرتهم على آداب لغتهم وبين ان يحافظوا على اصول الكتابة فلا يكتبوا باللغة العامية مثلاً ولا يأتوا بالالفاظ المبتذلة والتراكيب الغريبة فلا يجدون سبيلاً الى بلوغ مقاصدهم من تعميم نشر افكارهم وحسن تأثيرها في القلوب

هذا واختم رسالتي بالنصيحة للقارىء ان يحرص على سلامة ملكته كل الحرص فلا يخدشها بمطالعة المؤلفات الركيكة المبتذلة التي عم خطبها في هذه الايام والجرائد المملوءة جهلاً وعيّاً

م . ط

احد متخرجي الازهر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيوكل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

صحة الوالدات

اشرنا في الجزء الاخير من المجلد الثاني والعشرين الى كتيب وضعته احدى السيدات الفاضلات وضمَّنته ما يهمُّ كل والدة معرفته من بداءة الحمل الى فطام الطفل وقد وعدنا بترجمته في باب تدبير المنزل وها نحن منجزون الوعد الآن

الحمل

حالما تشعر المرأة بانها حامل يجب ان تهتم بصحتها بنوع خاص ولو لم تفعل ذلك قبلاً واهتمامها هذا واجب عليها لنفسها وللطفل الذي ستلده فانها هي وجنينها شيء واحد دمهُ من